عيدين في وطن!

معتصم أبوالغيث

كانت الأعياد الإسلامية المباركة – الفطر والأضحى- مناسبات توارى فيها العديد من مظاهر التفكك والتصدع في المجتمع اليمني، فذلك مما توارثناه جيلاً بعد جيل، والذي يأتي كذلك نتيجةً لما تحضُ عليه التوجيهات الإسلامية في ذلك، وكثيراً ما كانت الأعياد الإسلامية موعداً لرأب جزء من التصدع المتواجد في المجتمع خلال سنوات الحرب السابقة، وذلك بإخفائه خلف المظاهر العيدية الممتلئة بالبهجة والفرحة والسرور.

لكنها دائماً ما تأبى الحروب وصراعاتها السياسية إلا أن يصبح كل ما في الحياة جزءاً منها، حتى وإن كان ذلك في فرحة عيدٍ يجتمع فيها الناس، وهذا ما يظهر جلياً في اختلاف الأطراف المتصارعة في اليمن حول إعلانها لموعد عيد الفطر المبارك، والذي أدت نتائجه في بعض المناطق اليمنية إلى اختلاف القرى المتجاورة في الصيام والإفطار، فتفطر قريةٌ في اليوم المختلف عليه، في حين جارتها صائمة! وهو ما أشعل موجةً من التعليقات بين أفراد المجتمع، وحين تأتي تلك السخرية، تأتي ولسان حالها المثل العربي القائل: "شر البلية ما يضحك".

إننا وبالنظر إلى مظاهر التذمر والشكوى الصادرة عن أفراد المجتمع، وإلى فحوى تعبيراتهم الدائرة حول سرقة الأطراف المتصارعة لفرحة العيد باختلافها هذا، يظهر جلياً خطورة الوضع الذي نعايشه بسبب الصراع القائم، ومدى تمادي الأطراف المتصارعة في خطواتها لتفكيك المجتمع وتفتيته، دون أدنى مبالاةٍ منها لخطورة ذلك، وهو ما ينبئنا أكثر بسوء الوضع الذي نستقبله أكثر فأكثر في حال استمرارية هذا الصراع وديمومته.

وبالنظر إلى تعامل الأطراف المتصارعة مع ذلك الاختلاف في إعلان العيد، نجد أنها قد نزلت إلى الشارع لإجبار الأفراد بالقوة على الالتزام بما تم إعلانه من قبلهم، متبخترا كل طرفٍ في المناطق المسيطر عليها من قبله، وهو ما يحذرنا أكثر من خطورة هذا الصراع وخطورة ما تحمله الأطراف المتصارعة، خصوصاً حين نعلم بحدوث عدة من الاشتباكات والاعتداءات نتيجة لذلك الاختلاف، وهو ما أودى بحياة (٦٩) شخصاً في منطقة رداع بمحافظة البيضاء، نتيجةً لخلافٍ حول إقامة صلاة العيد أم تأجيلها!

لقد جاءنا الدين الإسلامي الحنيف بهذه الأعياد المباركة، لتكون موعداً مبهجاً لاتباعه وجامعةً لهم مع بعضهم، وقد جعل من رؤية الهلال طريقةً لإثباتها، لكون الرؤية شيئاً يجتمع الناس على القدرة عليه، أما أن نحيل الأمر إلى الصراعات السياسية والمناكفات الطائفية، فهذا أمرٌ ليس من الدين في شيء، وأن ينتظر كل طرفٍ لموعد إعلان حليفه رؤية الهلال من عدمه، فيأتي إعلانه بعدها مؤيداً لإعلان حليفه، فإن ذلك ليس من السياسة في شيء، فالتلاعب والتفريق بين الناس وتحمل أوزارهم نجاسةٌ لا سياسة، فصيام يوم العيد محرمٌ، وإفطار يومٍ من رمضان محرمٌ كذلك، فعن أي سياسةٍ تتحدثون!

ختاماً: ليست اليمن فقط من عانت من هذا الاختلاف في عيدها، فنفس الأمر كذلك حاصلٌ مع شقيقاتها سوريا والعراق، وبالنظر إلى حال هذه الشقيقات الحزينة، ولعبة الأطراف السياسية في ربوعها، يتبين لنا وبصورةٍ مكتملةٍ طبيعة الدور الذي لعبته الصراعات في ذلك، وإن لم يكن للفرد منّا القدرة على التأثير في القرار السياسي، فإن لنا القدرة على التعقل، وعدم الانجرار وراء تبعات تلك القرارات ومآربها السوداء.